العربية : الاعتبار القومي والبعد الأممي

محمد ديداوي
منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية
(اليونيدو)

خلاصة

لا شك أن العربية تتأرجح عند أبنائها بين الحب والتعلق من جانب المطلع عليها والعارف بأصولها ومن يغار على الاسلام ويسعى بالتالي إلى صون لغة القرآن الكريم، وبين المهانة من جانب من يجهلها أو يزدريها بسبب عدة عوامل، منها العامل الاجتماعي. ولقد استطاعت العربية أن تصل إلى بر الأمان رغم ما لقيته من عراقيل وما أصاب ألفاظها من ضعف تسبب فيه مريدوها أيضا، من حيث لم يحتسبوا.

ومن فضل المحفل الدولي على العربية أنه يعطيها دفعة إلى الأمام، على أنها يجب ألا تنفصم عن ماضيها التليد. وهي الآن تسعى إلى تدقيق المصطلح خدمة للمعنى والمفهوم. وما المصطلح إلا وسيلة للافهام، علما أن المعنى والمفهوم قد يكونان جديدين تماما على العربية وأن العقلية وراء النص المراد نقله غير عربية، إذ يكون مكتوبا بالانجليزية في الغالب الأعم، وهذا ما يضمن الفصل بين *اللغة والفكر* والخروج عن داء الانشغال بالألفاظ الذي طبع النص العربي ردحا من الزمن.

إن النص العربي (المترجم) في الأمم المتحدة هو عربي المبنى لكنه عجمي المعنى، وقد كان ذلك واضحا تماما في الوثائق الأولى التي صدرت بُعَيْدَ دخول العربية الأمم المتحدة وكانت وكأنها نصوص عربية مكتوبة بالانجليزية نظرا لما كان يتخللها من الحرفية الشديدة، التي ذكرت من قبل والتي كان لها ما يبررها. وإن المبنى المتماسك ملائم لروح العصر والمعنى الجديد مفيد للعرب.

كما أن حسن الاستعمال يحافظ على اللغة ويعزز التفاهم الدولي.

العربية : الاعتبار القومي والبعد الأممي

«لابد من الشعور بالنقص ولا بد من علاجه ولا بد من الثقة المستعادة عن علم أو عن بينة علمية، نعرف بها الحقيقة لننتفع بمعرفتها ولا نبتغي بها أن نسوقها مساق الفخر الذي لا سند له غير أنه يرضينا»

عباس محمود العقاد
(أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف)

جميل أن نذكر مآثر علماء العرب وفضلهم الذي لا ينكر على حضارة هذا العصر، إذا كان لهم السبق في عدة ميادين.

ورائع أن يلتفت العربي إلى لغته ويرى أن الأمة العربية هي الأمة الوحيدة التي نزلت فيها معجزة لغوية محكمة البنيان بديعة البيان متينة الأركان صامدة أمام الزمان، ألا وهي القرآن الكريم، مما يدل على عظمة هذه اللغة واتساعها للمعجزات. لكن هل انتفع العربي على مر العصور بتراثه وهل مازال العربي اليوم يحافظ على هذه اللغة وهل يرقى استعماله لها إلى أنسب الدرجات ؟

ثم أن دخول العربية الأمم المتحدة في عام 1973 كان حدثا هاما. فماذا تستفيده هذه اللغة من هذا الوضع ؟

(*) إن الآراء الواردة في هذه الورقة آراء شخصية.

1 – العربية والعقلية العربية

1 – 1 التركة العربية

إن عقلية العرب متجلية في لغتهم، كغيرهم من الأمم مع لغاتها. وفي هذا الموضوع كتب الكثير وقيل الكثير. وفي الوقت الحاضر، «تتميز العربية باستعصائها على المقارنة في لسانيات اللغات السامية نظرا لنحوها [الكامل بأتم معنى الكلمة] الذي يكاد يكون هيئة الجبر، كالشأن في الأوزان والصرف(1).

ومن ناحية أخرى، فإنه إذا كانت الفلسفة هي «معجزة» اليونان فإن علوم العربية هي «معجزة» العرب(2). وقد انتشرت العربية من المحيط الأطلسي حتى حدود الصين. كما أنها كانت «اللغة العالمية الأولى منذ القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وكانت جامعاتها الكبرى قبلة طلاب الثقافة العالمية في أنحاء الأرض»(3).

«وإن جل ما كتب في العربية هو كتابات علماء ... وهناك ترجمات جليلة وهامة من الناحية التاريخية قام بها علماء في القرون الوسطى من اليونانية إلى العربية؛ ومؤلفات تاريخية ذات طابع عام وخاص؛ وتشكيلة من المؤلفات المستوحاة من الدين؛ وكتب في النحو والأسلوبيات والآداب والفلسفة.»(4)

ومن فرط غيرة العرب والمسلمين على اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث والشريعة الاسلامية ، هبوا للدفاع عنها وصونها من كل شائبة أو مكروه ، لا سيما وقد بدأ اللسان العربي يخالطه التحريف الأعجمي وتعتوره لكنة غريبة عنه ويتزعزع بنيانه وتركيبه بعد أن امتدت رقعة الامبراطورية الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها والتقى العربي بالعجمي .

وقد أفضى ذلك إلى الحفاظ على العربية فأبقى على رونقها وروعتها وخلد ذكرها على مر العصور والدهور ، وإن أصابها شيء من السقم في عصور الانحطاط ، لا لعيب فيها وإنما لتقصير عند أهلها ولتواطؤ عند من يناوؤونها لشتى الأسباب . وقد امتدح العربية مستشرقون منهم لويس ماسينيون ويوهان فك وأربري ووليم مرسيه وميليه وريجستير بلاشير وبروكلمان وجورج سارطون – وغوستاف غرونيباوم وأرنست رينان وجورج بوست وفان ديك وفيلا سبازا(5).

و «كان النحاة [العرب] أيضا على يقين من أن إلمامهم الكبير ببنية النحو العربي كان له أهمية قصوى في الحفاظ على جمال الأدب [العربي] الذي يعتز به العرب وغير العرب»(6)

ولعبت العربية دورا في تحرير البلدان العربية من الاستعمار لاقترانها بالاسلام وبالهوية الوطنية .

وقد عرفت الأمة العربية علماء يعدون من العمالقة نبغوا في شتى فروع المعرفة معا وجمعوا بين حسنات كثيرة، فأضافوا إلى المعارف المنقولة عن اليونان أساسا ، ونشط بيت الحكمة الذي أسسه المأمون فأثرى التراث العربي وطعمه. إلا أن هؤلاء العلماء، وإن كانوا يقومون بتجارب منعزلة للوقوف على خفايا الأمور واستنباط النتائج ، فقد ظلت ممارسة العلم عندهم «تجري على الهامش بدون ضجة وبصورة فردية ومتقطعة»(7) «وظل العلم العربي، علم الخوارزمي والبيروني وابن الهيثم وابن النفيس وغيرهم، خارج مسرح الحركة في الثقافة العربية فلم يشارك في تغذية العقل العربي ولا في تجديد قوالبه وفحص قبلياته ومسبقاته، فبقي الزمن الثقافي العربي هو هو ممتدا على بساط واحد من عصر التدوين إلى عصر ابن خلدون، وركد هذا الزمن وتخشبت موجاته منذ عصر ابن خلدون إلى «النهضة» العربية الحديثة التي لم تتحقق بعد»(8).

وكان هذا على عكس الثورة الصناعية

والتكنولوجية التي شهدها ويشهدها الغرب والتي شملت كل مناحي الحياة وداهمت بيوت الناس، فالعالم جزء لا يتجزأ من المجتمع يعيش عصره ومع عصره، يؤثر على غيره ويتأثر بهم.

ويمكن القول أن غير العرب قد استفادوا من علماء العرب أكثر مما فعله العرب. فهؤلاء العلماء كانوا يزاولون نشاطا فكريا وعلميا حبا في العلم ولوجه المعرفة، لالتسخيره لخدمة المجتمع آنئذ ورقيه، إلا قليلا. وكانوا بذلك بعيدين عن الواقع.

ومن الأندلس، خصوصا، عبرت هذه العلوم إلى الغرب، فنقلوها ودرسوها واستغلوها.

وفي المقابل، ازدهرت علوم اللغة والكلام والمنطق عند العرب، وعمت المجتمع تيارات لغوية هدفها النهائي تفسير القرآن الكريم والتأويل أو التشيع لمذهب. وقد وضعت مصنفات ذات شأن في اللغة والعلوم المرتبطة بها وظهر علماء كبار مثل الغزالي وابن حزم وابن رشد وابن طفيل والفارابي وأبو بشر متى بن يونس وابن السراج والجاحظ وابن وهب والقاضي عبد الجبار وابن جني وابن فارس وابن هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني والسكاكي وأبو عبيدة والفراء ، وغيرهم كثير .

واهتم العرب بالبيان وبالدلالة وأنواع تركيبها وبالفصاحة ومناهجها والبلاغة وأسبابها وضروبها. وانشغل الفقهاء ورجال الدين باللغة مثلما انهمكوا في أمور الدين، خدمة لهذه الأمور. ولقد ميزوا بين أنواع الخطاب، وبين التبين والفهم والتلقي والتبيين والافهام والتبليغ. وكان في كلامهم دقة وإمعان. واهتموا بالخطاب وصنفوه إلى صنفين «أحدهما يتصل بنفس الخطاب وموضوعه» [منظومة الخطاب] و«الآخر بما يدل عليه من الأحكام العقلية والسمعية» [معقول الخطاب][6].

وفيما يلي طائفة من أقوالهم تدل على مدى هذا الاهتمام ومدى الدقة والامعان :

«اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة»
(القاضي عبد الجبار)

وإن «الكلام يرجع في نهاية التحليل إما إلى إخبار المتكلم السامع عن شيء وإما إلى طلب شيء منه : الخبر والطلب».
(أبو يعقوب السكاكي في مفتاح العلوم)

و «أما علم البيان فهو معرفة إيراد المعني الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»
(أبو يعقوب السكاكي في مفتاح العلوم)

و «إن مدار الأمر على البيان والتبين وعلى الافهام والتفهم. وكلما كان اللسان أبين كان أحمد، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد، والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم»
(الجاحظ، البيان والتبيين)

ويحتاج البيان إلى «تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة» و «إلى تمام الآلة وأحكام الصنعة»
(أبو عثمان الجاحظ)

و «لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضهم ببعض ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك»
(عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز)

نرى إذن أن بعضهم ممن اهتم باللغة لم يفهم ما للفهم والافهام من أهمية وأن الكلام لا بد أن يكون موزونا ذا معنى.

لكن شدة الولوع بالنص قد جعلت النص محورا للتفكير العربي. ومما «يثير الاستغراب حقا أن لا يصادف المرء بين تلك الأبحاث والمناقشات الواسعة المتشعبة التي تزخر بها كتب اللغة والفقه والكلام والبلاغة حول أصل اللغات والمفاضلة بين اللفظ والمعنى وتحديد العلاقة بين نظام الخطاب ونظام العقل إلخ .. أي اهتمام بعلاقة اللغة بالفكر، هكذا بصورة أشمل وأعم، ولا أي اهتمام بدور اللغة في عملية التفكير. والسبب في هذا واضح أن غياب الاهتمام بعلاقة اللغة بالفكر راجع هنا إلى غياب الاهتمام بعملية التفكير ذاتها مستقلة عن الألفاظ واللغة. فلم يكن البيانيون، على اختلاف نزعاتهم وتنوع اختصاصاتهم، يشغلهم السؤال : كيف نفكر؟ إن السؤال الذي كان يملك عليهم كل حقل تفكيرهم هو : «كيف البيان؟»»[10].

لهذا، فإن «العقل العربي قد تكوَّن، أساسا من خلال التعامل مع النص (في التفسير واللغة والكلام)»[11]

لذا، «فتكوين العقل البياني إنما يتم عبر حفظ النص والنظر في النص وبالتالي فاهتمامه سيتركز أساسا على «نظام الخطاب» وليس على نظام العقل.»[12]

ومن المؤسف أنه لم «يكن في إمكان العقل البياني أن يتقدم أكثر مما فعل ... إن الانجاز العظيم الذي حققه في مجال اللغة والفقه لم يكن فقط عبارة عن قوانين للغة والتشريع يجب التقيد بها، بل كان أيضا عبارة عن قيود للعقل .. عن تأطير له، أعني تثبيت آليات نشاطه في إطار معين لا يجوز اختراقه. وعندما اكتمل البناء في اللغة والتشريع و لم يعد هناك مجال للمزيد اكتمل البناء أيضا في مجال التشريع للمشرع فأصبح العقل البياني العربي سجين هذا البناء الذي طوق نفسه، فلم يكن من الركود مناص ولا من «التقليد» مفر»[13].

وبعد أن انقضى عصر التدوين ووضعت المصنفات الكبرى، بدأ الاجترار وكانت «النتيجة ظهور أنواع من تراكيب الكلام لا تحمل أي معنى، ولكنها تقرأ وتسمع على أن لها معنى. وتلك هي السمة البارزة في أدبيات عصر الانحطاط في الثقافة العربية، العصر الذي بدأ مباشرة بعد السكاكي والذي اتجه فيه الاهتمام إلى المحسنات اللفظية في الثقافة العربية»[14].

ففي حين أن النحو العربي محكم التركيب ومقرون بالمنطق ومتفاعل معه، وفي الوقت الذي تزخر فيه العربية بالمفردات التي تتبع نسقا محكما ودقيقا للتعبير عن المدلولات، يلاحظ أن العرب توغلوا في متاهات النص وأغرموا بالألفاظ إلى أن أصبح اللفظ هو المبتغى وهو المراد.

وقد ساعد على ذلك أن العربية لغة موسيقية حتى «إن النغمة الموسيقية في اللغة العربية تعوض، أو تُغطي فقر المعنى، وتجعل الكلام الذي يجر معه فائضا من الألفاظ ذا معنى حتى ولو لم يكن له معنى. إن الأذن هنا تنوب عن العقل في الرفض والقبول»[15].

إلا أنه «كما يعطل السجع، وبكيفية عامة الانشغال بنظام الخطاب، الرقابة العقلية لدى المستمع يعطلها كذلك لدى المتكلم. فعندما ينشغل المتكلم بإلباس كلامه ما يستطيع من المحسنات اللفظية يكون ذهنه مسرحا لنوعين من التداعي : تداعي الألفاظ وتداعي المعاني»[16].

وهذه بالذات، الحالة التي تتخبط فيها خطب العرب ومراسلاتهم اليوم، على العموم.

ولقد كانت التقاليد صارمة إلى حد أن القارىء لا تصله سوى لمحات قليلة من أحاسيس الشاعر. وبالفعل، فإن تلك الأحاسيس كان يغربلها العقل، وكانت التجارب الشخصية تحول إلى نوع من

الزخرفة العربية المتكلفة. هكذا، أصبح الأدب [العربي] على يد بعض النظّام والكتّاب العاديين متصنعا تماما»[17].

1 - 2 القديم والجديد : صراع متجدد

القديم هو الجديد في وقت من الأوقات وكل جديد مصيره إلى القدم. لكن، كلما هم أحد بالاتيان بشيء غريب عن المألوف وأي جديد اصطدم بمن يخشى على قدميه. ولا بد من التجديد للتطور، شريطة أن يكون في الجديد تحسين وتحسن.

وبالنسبة للغة العربية ظل «الذهن العربي مشدودا، إلى اليوم، إلى ذلك العالم الحسي اللاتاريخي الذي شيده عصر التدوين اعتمادا على أدنى درجات الحضارة العربية عبر التاريخ، حضارة البدو الرحل التي اتخذت كأصل ففرضت على العقل العربي طريقة معينة في الحكم على الأشياء، قوامها : الحكم على الجديد بما يراه القديم»[18].

وقد نودي بالاعتماد على الشعر الجاهلي حتى لتفسير القرآن بحكيم آياته وجليل معانيه. قال الطبري :

«إذا تعاجم شيء من القرآن، فانظروا في الشعر ، فإن الشعر عربي»[19].

وقال ابن عباس :

«إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب»[20].

ولقد شغل العرب بالقرآن الكريم، وعنوا بتفسيره وحياطته، وكان أساسا لكثير من علوم العربية»[21].

وحاول بعض الشعراء، مثل بشار بن برد وأبي نواس وأبي تمام، أن يخرجوا عن قاعدة الأقدمين فانبرى لهم النقاد، مثل ابن طباطبا وابن فارس، وهاجموهم أشد ما يكون الهجوم. لكن، بعض علماء العرب تشككوا في عصمة القدماء من الخطأ، ومن هؤلاء العلماء الجرجاني[22] والآمدي وابن قتيبة[23] الذي يقول :

«... ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا إلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلا حظه، ووفرت عليه حقه».

واشتدت الخصومة بين أنصار القديم ودعاة الجديد وفيما بين الشعراء. وكانت تلك الخصومة «شخصية بعيدة عن الأسباب الفنية أذكتها عوامل لا علاقة لها بالتقاليد الأدبية»[24] أو كانت مذهبية و «كانت سببا في كثير مما وصل إلينا من النقد اللغوي»[25]

و «لقد وقر في نفوس المتقدمين من النقاد بوجه خاص أن العربية لغة استغرقت حظها من النضج، وبلغت أعلى مراتب الكمال، فلم يبق من واجب على أهلها والمتكلمين بها إلا حمايتها والدفاع عنها وتخليصها من كل ما يندس فيها أو يطرأ عليها.»[26]

وبهذا يحكمون على العربية بأن تكون لغة قديمة إذ لا تتجدد.

1 - 3 العربية والعرب اليوم

1 - 3 - 1 القديم والجديد من جديد

في العصر الحديث، ظهر مفكرون عرب بعضهم رأى التجديد في استعمال العاميات في الكتابة والقراءة وطائفة ثارت على القديم، ومنهم طه حسين الذي دعا إلى تطوير النحو وارتأى أن «اللغة ملك لنا ولا حق لرجال الدين أن يفرضوا وصايتهم عليها»[27].

وأحمد أمين الذي كان مذهبه «أن اللغة ملك لنا ولسنا ملكا للغة»، في حين أن غيرهما يرى أن اللغة العربية لا تقبل «إصلاح قواعدها بالازالة والوضع فيها، أو الوضع فقط، لأن هذا التغيير يخرجها عن لغة القرآن والحديث والأدب العربي والعقلية العربية الدينية والفلسفية والعالمية»[28].

ومن الذين دعوا إلى «التجديد» ومن الذين يسميهم أنور الجندي «أعداء العربية»[29] : لطفي السيد (1913) و قاسم أمين (1912) والخوري مارون غصن (1926) وعبد العزيز فهمي (1944) والزهاوي (1910) وسلامة موسى (1926) وسعيد عقل (1961) وأنيس فريحة/ وأمين الخولي (1955) ولويس عوض (1947).

ومن المفرح حقا أن الفصحى نجت من براثن العامية، وأصبح المثقفون العرب يميلون إلى تفصيح هذه الأخيرة في كلامهم اليومي ومعاملاتهم ولقاءاتهم. وقد دخلت الفصحى البيوت أيضا بواسطة الاذاعة والتلفزة. ولا يمكن أن ينكر أن اللغة العربية قد قفزت قفزة كبيرة في أيامنا هذه انطلاقا من القرن التاسع عشر، إلا أن الوضع ما زال غير مثالي. وفيما يلي بعض وسائل العلاج المقترحة.

(أ) جودة الكتابة : من الضروري اتخاذ قرارات رسمية تقضي بتوخي الجودة في المراسلات والكتابات في البلدان العربية على غرار بعض البلدان، مثل فرنسا، حرصا على اللغة والسهر على تنفيذ تلك القرارات.

(ب) تعدد السلطات اللغوية : الملاحظ أن السلطات اللغوية في العالم العربي متعددة وأنها غير قادرة على مواجهة الوضع نظرا لضآلة ميزانياتها وشح إمكاناتها. من الضروري إذن زيادة قدرة مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأن يشتد عضد مجامع اللغة العربية.

(ج) الانبهار بالثقافات غير العربية : هذا الاعجاب يعود إلى شتى الأسباب منها مخلفات الاستعمار والمنزلة الاجتماعية ولا عيب فيه إن لم يصاحبه حطّ من شأن العربية وتراثها، علما أن «الثقافة العربية في مجملها تراث هائل ومجهول وأرض مفقودة»[30] و «هل العربية من الآن لغة الماضي؟ كلا ثم كلا. إن العربية ستصبح عملية، وهي كذلك بالفعل في كثير من القطاعات»[31]. لقد آن الأوان أن ينظر العربي نظرة فاحصة إلى الوراء وعليه أن يعتز بلغته. ولا ضير أن يتعلم لغات أخرى ليتفتح على حضارات وعقليات أخرى.

(د) مستوى التعليم : من الضروري رفع مستوى التعليم وزيادة تعريبه لتكون العربية لغة الاستعمال والتداول، لا سيما في مستوى الجامعي، إذ أن مرحلة البحث العلمي تستلزم الدقة والمنهجية العلمية السليمة.

(ه) النحو وتعليم العربية لغير العرب : ينبغي إعادة تبويب النحو العربي وتيسير تلقينه وكذلك تشجيع الأجانب على تعلم العربية بالوسائل السمعية – البصرية المتطورة[32].

(و) أزمة المصطلح : من اللازم زيادة التنسيق وإصدار قاموس جامع يميز بدقة بين ركام المترادفات التي أصبحت عالة على اللغة العربية كجزء من التركة اللفظية التي سبق الكلام عنها.

(ز) الصحافة العربية : يمكن أن تلعب الصحافة دورا هاما، لا سيما في تفصيح العامية أو، بمعنى آخر تبسيط الفصحى لجمهور الناس والمثقفين.

2 البعد الدولي

2 - 1 دخول العربية الأمم المتحدة

2 - 1 - 1 الفصل بين اللغة والفكر

دخلت اللغة العربية، لغة الأدب المرموق ولغة المساجلات اللفظية، الأمم المتحدة في ظرف زمني كان مواتيا لدخولها. وكان الاحتكاك اليومي باللغات الخمس الرسمية الأخرى، وهي الاسبانية والانجليزية والروسية والصينية والفرنسية. ويتميز الوضع في الأمم المتحدة بالآتي :

(أ) المواضيع *علمية ومتخصصة* وكثيرة التنوع ومن اللازم توخي الدقة العلمية.

(ب) المفاهيم جديدة في معظمها، إذ أن الاجتماعات تناقش قضايا الساعة.
ولا بد من مفردات جديدة للتعبير عن المدلولات الجديدة.

(ج) كانت الحرفية الشديدة تطبع وثائق الأمم المتحدة في بداية الأمر، وهذا مرده إلى ضرورة التخلص من الفوضى اللفظية التي اعتدت اللغة في عصور الانحطاط ولتحديد الفوارق تدريجيا، علما أن «من اللازم الآن أن يتسنى للمنظمة، إذ تعددت المواضيع التي يتم تناولها، أن تعطي لكل مدلول لفظا يدل عليه بالضبط»[33]، وهذا بالنسبة لكل اللغات الرسمية. ولقد ذهب البعض إلى «أن استعمال العربية في الجمعية العامة سوف يحد من تأثير العرب، ذلك أن البيانات التي يدلى بها بالانجليزية أو الفرنسية سوف تكون أنجع من الخطب التي تلقى بالعربية، والتي يضطر معظم الوفود إلى تتبعها عن طريق الترجمة الفورية»[34]. وهذا غير صحيح من ناحية ، ذلك أن هناك ترجمة فورية من الانجليزية والفرنسية أيضا، وليس فقط من العربية، وكثير من الوفود لاتجمع بين الانجليزية والفرنسية. ومن ناحية أخرى، هناك نقطتان : نوعية الخطاب العربي ونوعية الترجمة الفورية من العربية وهما مترابطتان ترابطا كبيرا. وإذا كان لا بد من أن يكون الترجمان (أي المترجم الفوري، وجمعه تراجمة) متمكنا من مهنته، فإن الخطاب هو المحور الأساسي والمنطلق. ومن المعلوم أن الترجمة الفورية ترتكز أساسا على المعنى والفحوى، فإذا كان الخطاب «لا يحمل أي معنى ولكنه يقرأ ويسمع على أنه له معنى» ، فإن نقله سيستعصي على الترجمان حتما، لأنه ستلهيه الألفاظ. بيد أن الوثائق التي تصدر بالعربية عن الأمم المتحدة تقيم الدليل على أن هذه اللغة قادرة على مسايرة اللغات الأخرى في كل الميادين، نظرا للخصائص التي تمتاز بها. ولئن دخلت العربية، في فترة ما، في متاهات لفظية، فإن اقترانها بالقرآن الكريم قد صان بنيانها وأوصلها إلينا مكتملة الأركان، رغم العيوب المذكورة آنفا.

نرى إذن أن المعنى في اجتماعات ومؤتمرات الأمم المتحدة هو الجوهر، من مواضيع اجتماعية مثل منع الجريمة ومكافحة المخدرات ومساعدة المعوقين والشيخوخة والنهوض بالمرأة، ومواضيع علمية مثل الطاقة الجديدة والمتجددة واستعمال الطاقة النووية في الأغراض السلمية، ومواضيع قانونية متخصصة في مجال القانون الدولي والقانون التجاري الدولي، إلخ.

ومع ذلك، فإن كثيرا من المناقشات العربية تدور حول الألفاظ في مؤتمرات ذات مواضيع هامة.

وإن المترجم العربي في الأمم المتحدة مبلغ للأفكار، فإذا اكتفى بالترجمة الحرفية الركيكة المجردة من المعنى فإنه يكون قد قصر. وكثيرا ما يضع الخبراء التقارير في غير لغاتهم، أحيانا في أسلوب غث، دون الاكتراث كثيرا بالنص. ومع ذلك، فلا بد أن يهتم المترجم العربي بالنص الذي يجب أن يكون مفهوما وسلسا ودقيقا في تأدية المعنى المقصود.

لذا، فإن من خاصيات الأمم المتحدة، عموما، ولا سيما في الأمور العلمية المتخصصة، *الفصل بين النص والتفكير*، أو اللغة والفكر، وإن كانت بعض الخطب في ميادين غير علمية تأخذ طابع «الاجترار» والتكرار في اللغات الست.

وفي الأمم المتحدة، لا سيما عند المترجم العربي، نوع من التحرر من العقل العربي لأن وراء النص المراد نقله تفكيرا غير عربي. وهذا من حسناتها على اللغة.

الحواشي

(1) Bernard Coorie, Major World's Languages, Croom Helm, London, 1987

(2) محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، نقد العقل العربي، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1987.

(3) علي عبد العظيم (عن عالمية اللغة العربية) مجلة الأزهر سنة 1392/1391 . عن أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، الموسوعة الاسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(4) The New Encyclopaedia Britannica, Macropaedia, Islamic Literatures, Vol. 9 P. 954, 1984.

(5) أنظر أنور الجندي، المرجع السابق الذكر، للمزيد من التفاصيل.

(6) Encyclopaedia Britannica، المرجع السابق الذكر.

(7) م.ع. الجابري، تكوين العقل العربي، المرجع السابق الذكر.

(8) المرجع نفسه.

(9) القاضي عبد الجبار، عن م.ع. الجابري، المرجع السابق الذكر.

(10) محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، نقد العقل العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1987.

(11) المرجع نفسه.

(12) المرجع نفسه.

(13) المرجع نفسه.

(14) المرجع نفسه.

(15) الجابري، تكوين العقل العربي، المرجع السابق الذكر.

(16) الجابري، بنية العقل العربي، المرجع السابق الذكر.

(17) The New Encyclopaedia Britannica ، المرجع السابق الذكر.

(18) الجابري، تكوين العقل العربي، المرجع السابق الذكر.

(19) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آية القرآن عن «النقد الأدبي عند العرب».
(20) جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن.
(21) نعمة رحيم العزاوي، النقد اللغوي عند العرب، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1978.
الجرجاني (الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي بن عبد العزيز الجرجاني)
(22) الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي.
(23) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء.
(24) نعمة رحيم العزاوي، المرجع السابق الذكر.
(25) المرجع نفسه.
(26) المرجع نفسه
(27) طه حسين، مستقبل الثقافة، عن أنور الجندي، المرجع السابق الذكر.
(28) علي العناني، مجلة النهضة الفكرية، 1933، عن أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
(29) أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، المرجع السابق الذكر.
(30) Gilbert Grandguillaume. Arabisation, Maisonneuve et Larose. Collection Islam d'hier et d'aujourd'hui, Paris, 1983.
(31) المرجع نفسه.
(32) انظر أيضا توصيات ندوة مونص حول تشجيع العربية في بلدان الاتحاد الاقتصادي الأوروبي، 8 — 9 تشرين الأول / أكتوبر 1987.
(33) Françoise Cestac, la traduction et les services de conférences à l'Organisation des Nations Unies.
(34) Mala Tabory, Multilingualism in International Law and Institutions, sijthoff and Noordhoff, Rockville, Maryland, U.S.A.